صورة الأم في شعر محمود درويش: بين الحضور الرمزي والتجليات الإنسانية (قصيدة إلى أمي أنموذجًا)

The Image of the Mother in Mahmoud Darwish's Poetry: Between Symbolic Presence and Human Manifestations (Poem to My Mother as a Model)

م. رائد عبدالأمير لفته ابو خريجة

٠٧٨٠٦٥٣٨٨٥٠

ruudeed@gmail.com

ملخص البحث

يُبرز محمود درويش في شعره تجربة السجن بوصفها تجسيدًا حسيًا ووجدانيًا لثنائية القيد والحرية، حيث تتعانق الآلام الفردية مع الهم الجمعي للوطن. يتجلى الوطن في نصوصه كرمز للأم التي تحتضن أبناءها، مشبعًا بالحياة والحنين والأمل. وفي ظل عزلة السجن، يعيد الشاعر تشكيل علاقته بالعالم من حوله، حيث يتحول الألم إلى فضاء إبداعي يفيض بالرموز والمعاني.

ويستقي درويش من معاناته رؤية إنسانية عميقة تُضيء تجربته الشخصية بمثابة مرآة لانكسارات الوطن وتطلعاته. ومن خلال إعادة اكتشاف قيمة التفاصيل الصغيرة التي كانت تُعد مألوفة، ينسج الشاعر خيطًا شعريًا يربط بين السجن كحالة مادية والوطن كفضاء روحي يستدعي الحرية والكرامة. يحمل درويش بذلك رسالة تتجاوز الخاص إلى العام، حيث يرمز السجن إلى قيد الاحتلال والوطن إلى فضاء المقاومة والبعث.

الكلمات المفتاحيّة: (الأم، الوطن، العاطفة الشعورية)

Abstract

Mahmoud Darwish highlights the prison experience in his poetry as a sensory and emotional embodiment of the duality of constraint and freedom, where individual pain intertwines with the collective burden of the homeland.

The homeland emerges in his verses as a symbol of the nurturing mother, brimming with life, nostalgia, and hope. Within the solitude of imprisonment, the poet reshapes his relationship with the surrounding world, transforming suffering into a creative space rich with symbols and meanings.

Drawing from his ordeal, Darwish offers a profound humanistic vision that illuminates his personal experience as a reflection of the nation's fractures and aspirations. Through rediscovering the value of small, once–familiar details, he weaves a poetic thread connecting imprisonment as a physical condition with the homeland as a spiritual realm invoking freedom and dignity. In doing so, Darwish delivers a message that transcends the personal to the universal, where the prison symbolizes the shackles of occupation and the homeland represents the sphere of resistance and rebirth.

Keywords: (Mother, Homeland, Emotional Affection)

المقدمة

محمود درويش، شاعر القضية الفلسطينية وأيقونة الشعر العربي الحديث، يُعتبر رمزاً مهمّاً من رموز الأدب العربي المعاصر. وُلد في عام ١٩٤١ في قرية البروة بفلسطين التي هُجّر منها وهو طفل، لتبدأ رحلته الطويلة مع المنفى والحنين[١]. انعكست هذه التجربة على شعره، حيث تحول الحنين إلى وطنه وأرضه إلى محور أساسي في أعماله، وأصبحت الكتابة لديه وسيلة لإعادة بناء الجذور والانتماء. تميز درويش بأسلوب شعري يجمع بين البساطة والعمق، مما أتاح له مخاطبة القضايا الكبرى بلغة إنسانية قريبة من القلب والعقل معًا. في قصيدة " إلى أمي"، إحدى أبرز قصائده وأكثرها شهرة، استطاع أن يجعل الأم رمزًا مركزيًا يُجسد الوطن والحنين والهوية. القصيدة كُتبت في عام ١٩٦٥، في فترة كان درويش يعيش فيها مرارة السجن، ليصبح الحنين إلى الأم تعبيرًا عن فقدان الشعور بالأمان والجذور.

١) ينظر: الشعر العربي الحديث٣:الشعر المعاصر، محمد بنيس، دار توبقال للنشر، ط٢، المغرب، ١٩٩٦م: ٢٧٦.

"وتمثل القصيدة أدب السجون، ألفها الشاعر، وهو بين قضبان السجن، وجعل من تجربته محوراً رئيساً، طرح فيها علاقة الذات بالتاريخ. وجاءت مفعمة بالفقد والمعاناة، وهو يتحدى الظلام والظلم، ويبث روح المقاومة لدى شعبه. وجاءت القصيدة معبرة جمالياً عن الحركة الفنية، وجسدت واقعاً اجتماعياً وثقافياً" (١)

تتجاوز الأم في هذه القصيدة كونها شخصية واقعية لتصبح رمزًا شاملًا يحمل معاني متعددة. فهي الوطن، وهي الهوية، وهي الحب الأول الذي يربط الإنسان بجذوره. عناصر يومية بسيطة مثل الخبز والقهوة ولمسة الأم تُستخدم ببراعة لتشكيل صورة شعورية تفيض بالعاطفة والإنسانية. وبذلك، تُظهر القصيدة قدرة درويش على تحويل تفاصيل الحياة العادية إلى رموز تعكس أبعادًا فنية وإنسانية عميقة. في هذا البحث سنناقش صورة الأم في القصيدة من زاويتين رئيسيتين: الحضور الرمزي والتجليات الإنسانية. من خلال التحليل النصي، سنرى كيف استطاع درويش أن يجعل من صورة الأم نافذة لفهم أعمق لتجربته الشخصية والجمعية. العنوان يعكس هذا الهدف، حيث يبرز الأم كرمز مركزي يُجسد الوطن والحنين، وفي الوقت ذاته يُبرز الجانب الإنساني لتجليات الحنين والحب.

مشكلة البحث:

كيف تتجلى صورة الأم في قصيدة "إلى أمي" لمحمود درويش بين البعد الرمزي المرتبط بالهوية والوطن، والبعد الإنساني المرتبط بالعاطفة والحنين، وما الدلالات الجمالية والفكرية التي يعكسها هذا التداخل في تجربة الشاعر الشعرية؟

اهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يقدم قراءة معمقة لقصيدة تعد من أبرز نماذج الشعر العربي الحديث. كما يُسلط الضوء على البُعد الإنساني في تجربة درويش، ويبرز كيف استطاع أن يجعل من قصيدته تجربة عالمية تمس وجدان القارئ في مختلف الثقافات. من خلال دراسة هذه القصيدة، نسعى إلى استكشاف عبقرية درويش في استخدام اللغة والرموز لخلق نص شعري يتجاوز حدود الزمان والمكان. وهذا البحث يقدم أيضًا فرصة لفهم الكيفية التي يُعيد فيها الشاعر صياغة مفاهيم الحب

١) قصيدة إلى أمي للشاعر محمود درويش دراسة فنية نقدية، د. خديجة بوطيب عبد القادر بوطيب، ليبيا، جامعة الزنتان، المجلة العربية مداد، المجلد الرابع، العدد٩، ٢٠٢٠م: ١١١

والارتباط في إطار إنساني عميق، فهو لا يكتفي بنقل مشاعره، بل يستخدم أدواته الشعرية لخلق تجربة حسية بصرية ووجدانية تجعل القارئ يتوحد مع النص. هذا الدمج بين الجمال الفني والبعد الإنساني يجعل القصيدة نموذجًا استثنائيًا للدراسة والتحليل.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى عدة نقاط نبينها بالشكل الاتي:

١. تحليل صورة الأم في قصيدة "إلى أمي" لمحمود درويش من حيث أبعادها الرمزية والإنسانية.
٢. الكشف عن الدلالات الفنية والجمالية التي تستنبطنها هذه الصورة داخل النص الشعري.
٣. توضيح العلاقة بين صورة الأم والوطن في شعر درويش، بوصف الأم رمزًا للانتماء والجذور.
٤. تتبع تطور النظرة الشعورية للشاعر تجاه الأم في ضوء تجربته الاغترابية والمنفى.
٥. إبراز الخصوصية الأسلوبية والتعبيرية التي اتسمت بها قصيدة "إلى أمي" ضمن السياق العام لشعر درويش.
٦. المساهمة في إثراء الدراسات النقدية حول شعر محمود درويش، خاصة في ما يتعلق بتوظيف الرموز الإنسانية.

الفصل الأول: صورة الأم كرمز

الرمز لغةً: جاء في لسان العرب لابن منظور: "الرمز : تصويت باللسان كالهمس وتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ عن غير ابانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين وقيل: الرمز إشارة وإيحاء بالعينين و الحاجبين والشفتين و الفم، و الرمز في اللغة كل ما أشارت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت بيد أو بعين، و رمز يرمز و يرمز رمزا"[١]

أما اصطلاحا :" الرمز شيء حسي كإشارة لشيء لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين أحست بها مخيلة الرامز"[٢]

---

١) ٣. لسان العرب، ابن منظور، مج٥، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م: ٢٢٢/ ٢٢٣.

٢) التأويل وخطاب الرمز: قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، محمد كعوان، دار بهاء الدين، الجزائر، ط١: ٢١

ويشكل الرمز أداة فنية وأدبية بالغة الأهمية في شعر محمود درويش، حيث يعتمد على تحويل المعاني البسيطة إلى صور معقدة تحمل دلالات متعددة. في قصيدة " إلى أمي"، تتجلى الأم كرمز مركزي يتجاوز العلاقة البيولوجية ليمثل مفاهيم أعمق مثل الوطن، الانتماء، الهوية، والقيمة الروحية. هذه الصورة الرمزية تسلط الضوء على تأثير الأم في تشكيل وجدان الشاعر، إذ تظهر كملاذ آمن يستعيد من خلاله تفاصيل الحياة اليومية البسيطة لتتحول إلى رموز معبرة عن الحنين والانتماء. هذا الفصل يسعى إلى استكشاف صورتين رئيسيتين للأم في قصيدة درويش: الأولى باعتبارها رمزًا للوطن والانتماء، والثانية كقيمة روحية وإنسانية. من خلال تحليل الأبيات المختارة، نبرز كيف استخدم درويش الرموز واللغة الشعرية لإبراز هذه الجوانب، وكيف استطاع أن يجسد الأم كعنصر مركزي في تجربته الشعرية والإنسانية.

أولا: الأم كرمز للوطن

ترمز الأم في شعر محمود درويش إلى أبعاد أعمق من العلاقة الإنسانية المباشرة، حيث تتماهى مع صورة الوطن في الوجدان الجمعي. فالأم في هذا السياق هي الحاضنة للحياة والممثلة للجذور والانتماء. يستخدم درويش في قصيدته "إلى أمي" رموزًا مألوفة مثل الخبز والقهوة ليُبرز الصلة الوثيقة بين الأم كرمز للوطن بكل أبعاده العاطفية والثقافية.

إن الربط بين الأم والوطن يعكس رؤية درويش للحياة في ظل المنفى؛ حيث تصبح الأم امتدادًا للوطن الحاضن والمُلهم. الخبز ليس مجرد مادة غذائية، بل هو تمثيل للخصوبة والعطاء والبساطة المرتبطة بالهوية الفلسطينية. القهوة، من جهة أخرى، تُجسد طقوس الحياة اليومية التي تذكر بالشعور بالدفء والارتباط بالجذور. من خلال هذه الرموز، ينجح درويش في جعل الحنين للأم مرآة لحنينه لفلسطين.

"إن مهمة الشاعر التقاط مجموعة من الصور المتداعية المفككة، فالشعر فن تصويري يتجه إلى العين، فيعمل الخيال على التقاط العلاقات الحسية" (١)

فالشعر بطبيعته فن يعتمد على التقاط المألوف وإعادة تشكيله، بحيث يفيض على القارئ بصور تتجاوز الظاهر لتغوص في عوالم الرموز والدلالات. وعندما يُقال إن الشعر فن تصويري يتجه إلى

١) نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٩٩٦م: ١٤٢

العين، فإنه بذلك يتطلب خيالًا قادرًا على تفكيك المشاهد الحسية وإعادة ترتيبها في بناء جديد يتماهى مع التجربة الإنسانية. وفي هذا الإطار، يمكن النظر إلى توظيف محمود درويش لصورة الأم كرمز للوطن بوصفه مثالًا دقيقًا لهذه العملية. فالأم بما تحمله من دلالات تتعلق بالحب والاحتواء، تتحول في نصوص درويش إلى فضاء أوسع يعكس معاني الانتماء والجذور، حيث تصبح الأم صورة للوطن بكل ما فيه من أمان ووجع وفقد. هذا التداخل بين الأم والوطن لا يُقدَّم بشكل مباشر، بل يتبدى في صور شعرية متعددة الأبعاد، تتيح للمتلقي تأمل المعنى من زوايا مختلفة، وكأن درويش يعيد تشكيل التجربة الحسية الفردية لتصبح تجربة إنسانية جمعية، يُلتقط فيها ما هو خاص ليعبر عن ما هو عام.

ومنه قول الشاعر:

"أحنّ إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي"[١]

في هذه الأبيات، تتجلى عبقرية درويش في استخدام المفردات اليومية لخلق صور شعرية عميقة. فالخبز يرمز إلى استمرارية الحياة والارتباط بالبيت كملاذ أول وأخير. القهوة تحمل دلالات الراحة والحميمية، وهي عنصر أساسي في حياة الفلسطيني اليومية، بينما تُعبر "لمسة أمي" عن الدفء والحنان الإنساني الذي يفتقده الشاعر. التكرار في عبارة "أمي" يُبرز أهمية هذه الشخصية في وجدان الشاعر، ليس فقط كأم بل كمحور يمثل الأصل والهوية. استخدام درويش للصور الحسية يجعل القارئ يتوحد مع النص، حيث يشعر بأن الحنين الذي يصفه الشاعر هو حنينه الخاص. فتصبح الأم في هذه الأبيات أكثر من شخصية فردية؛ إنما تجسيد للوطن بكل معانيه العاطفية والثقافية.

كما ويُذكر أيضا تفسيرا آخر لرمزية الخبز: " وتمثل الخبز عند محمود درويش بالصمود والإصرار والمدفع ورفض الاحتلال الإسرائيلي"[٢]

---

١) ديوان محمود درويش، محمود درويش، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط١٤، ١٩٩٤م: ٩٣

٢) يوميات الحزن العادي، محمود درويش، بيروت، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، دار العودة، ط٢، ١٩٨١: ٧٤/٧٥.

هذا التفسير يُبرز عبقرية محمود درويش في تحويل الأشياء اليومية إلى رموز ذات أبعاد وطنية وإنسانية عميقة. فالخبز الذي يمثل حاجة إنسانية أساسية، يأخذ في شعره بُعداً أكبر، حيث يصبح رمزاً للصمود والإصرار أمام الاحتلال. هذا الاستخدام يعكس قدرة الشاعر على إعادة تعريف المفاهيم اليومية وربطها بالنضال الفلسطيني، مما يُضفي على قصائده طابعاً يدمج بين البساطة والعمق. كما أن ربط الخبز بالمدفع ورفض الاحتلال يُظهر تداخلاً بين الحياة اليومية والنضال السياسي، مما يعكس قدرة درويش على التعبير عن التجربة الفلسطينية بكل أبعادها المادية والرمزية.

"يقدر درويش تحمل ألم السجن، ولكن الوطن هو الذي يؤذيه، ويحن إليه خلف السور والباب، ويذوق مرارة فراغه. إنه يريد أن يعيش حرا تحت ضوء عيني وطنه، ويرجو الرجوع إلى مهد طفولته، ولهذا نجد في حبسياته روح الأمل بالحرية والعود إلى حضن الأم، غير السجن وجهة نظره وزاد قيمة كل شيء عنده، وهو في السجن ينظر إلى كل شيء بالنظر الجديد" [١]

فالسجن في رؤية محمود درويش، يتجاوز كونه قيدًا ماديًا ليغدو فضاءً يعيد فيه تشكيل علاقته بالوطن والأرض. في عزلة الجدران، تصبح التفاصيل الصغيرة نافذة على الحنين، حيث تتحول الأشياء العادية إلى رموز تفيض بالمعاني. وهنا تنبعث صورة الوطن كحضن دافئ، يشبه حضن الأم، ويُختزل في طياته الأمل والحرية. ومن داخل هذا الأفق المغلق، يعيد درويش اكتشاف قيمة كل ما تركه وراءه، فتصبح العودة حلمًا يتجدد كلما واجه ظلمة السجن. ينظر إلى العالم بعينٍ تستشرف الأمل في أدق التفاصيل، وتحوّل الألم إلى طاقة خلاقة تصوغ الحنين والحرية في إطار شعري. وهكذا يُظهر السجن في شعره قوة التحدي والانتماء، حيث يولد من العزلة شعاعٌ يقاوم قيود الغياب.

ثانيا: الأم كرمز روحي

تتجاوز صورة الأم في شعر محمود درويش الأبعاد الحسية والمادية لتأخذ بُعدًا روحيًا وإنسانيًا عميقًا. فالأم ليست مجرد مصدر للعطاء الفيزيائي، بل هي رمز للتجذر الإنساني والحب غير المشروط الذي لا يمكن أن يُقاس أو يُحد. في شعره، تصبح الأم مرآة لجوهر الإنسانية بما تحمله من تضحية وصبر وحنان، وهو ما يجعل حضورها في النصوص الشعرية امتدادًا لحضورها في حياة الشاعر العاطفية

١) "ظاهرة العناوين لقصائد محمود درويش وخصائصها الفنية"، محمد مزمل حق، المجلة الدولية للأفكار البحثية الإبداعية (IJCRT)، المجلد ٩، العدد ١١، نوفمبر ٢٠٢١م: ص ٤٣٦.

والروحية. يربط درويش بين الأم كرمز روحي والوجود الإنساني بأبعاده الأعمق. فهي تمثل البداية والنهاية، حيث تبدأ الحياة بحبها وحنانها وتنتهي بالخجل من دمعها. هذا البعد الروحي يعكس أيضًا العلاقة الوثيقة بين الأم والابن، حيث تصبح الأم مصدر الإلهام الأخلاقي والوجداني الذي يرافق الإنسان في كل مراحل حياته.

"ولو تتبعنا كلمات القصيدة لوجدنا أن الشاعر أكثر من ذكر كلمة "أمي" وكررها ونحن نعيب ونأخذ على من يكرر ، لكن الشاعر هنا موفق في الإعادة لكونه يريد استحضار صورة الأم أمام ناظريه، وكذلك للتلذذ بذكر لفظها لما قبلها من ايحاءات خاصة تمس مشاعر درويش وكل إنسان فلسطيني". [١]

يُظهر درويش من خلال رمزية الأم كيف يمكن للحب أن يتجاوز حدود الفرد ليصبح قيمة شاملة تُلهم كل من يقرأ نصوصه. الأم هي الحاضنة للحياة الإنسانية، وهي التعبير الأسمى عن نقاء الروح وتجذرها في القيم النبيلة.

الأبيات:

"وتكبر فيَ الطفولة[٢]

يوما على صدر أمي

وأعشق عمري لأني

إذا متّ

أخجل من دمع أمي"

في هذه الأبيات، يُبرز درويش العلاقة الروحية العميقة بينه وبين أمه، حيث يتجاوز حب الأم معناه التقليدي ليصبح مصدرًا لاستمرار الحياة بكرامة واحترام. عبارة "أعشق عمري" تعكس امتنان الشاعر للحياة لأنها تتيح له فرصة أن يكون جزءًا من حياة أمه، وكأنها الدافع الأساسي لوجوده.

---

١) البنية الرمزية في شعر محمود درويش المعاصر: رمزية المرأة في قصيدتي "إلى أمي" و "أحبك ولا أحبك" انموذجا، مريم عميش ونوارة نجيمي، رسالة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة-، كلية الآداب واللغات، الجزائر،٢٠١٤ :٣٤.

٢) ديوان محمود درويش : ٩٣.

"وما أروع أن يجعل الشاعر طفولته تتجسد أمامه وتتراءى له في كل حين حينما تكبر شيئا فشيئا على صدر أمه، وكأنه تخطى طفولته لتكبر على صدرها، ولقد أبدع درويش حينما قال:" وتكبر في الطفولة" حيث شبه الطفولة بالإنسان والشجرة التي تنمو وتكبر، فكل كلمات الشاعر وعباراته تحمل حنانا وعطفا وحبا لا مثيل له حينما نرى الشاعر وهو عاشق لعمره، فهو لم يقل أحب عمري، إنما عبر عن قمة هذا الحب الذي. يصل إلى درجة العشق الروحي لعمره، فهو يريد البقاء والحياة من أجل أمه، وحتى لا تتحسر عليه إذا مات قبلها أو تنزل دمعة منها .... وكلها مشاعر متأججة متفردة في نوعها، أراد أن يعبر عنها في قصيدته "إلى أمي"[١].

استخدام فعل "أخجل" يعبر عن وعي أخلاقي وروحي يتجاوز المألوف، حيث يُظهر درويش شعورًا عميقًا بالمسؤولية تجاه مشاعر أمه. هذه العلاقة تتجذر في الحب غير المشروط الذي يجعل دموع الأم أغلى من أي شيء آخر في العالم.

الصور البلاغية في هذه الأبيات بسيطة لكنها مؤثرة للغاية. فالإشارة إلى "دمع أمي" تُبرز الأثر النفسي الكبير الذي يتركه الحزن على الشاعر، مما يجعل من الأم مصدرًا للتوازن العاطفي والروحي في حياته. النص يُظهر بوضوح كيف يُحول درويش التفاصيل الشخصية إلى مشاعر إنسانية عالمية تعكس القيم الروحية في أبهى صورها.

الفصل الثاني: الأبعاد الإنسانية في تصوير الأم

"إن لغة الشعر هي لغة الانفعال والوجدان؛ لذلك هي لغة إيحائيّة؛ لأنّها تثير فينا الحساس بالصور، وهي لغة جمالية؛ لأنّها تستخدم الألفاظ استخدامًا مجازيًّا في نسق معيّن"[٢] فالشعر يمثل مجالًا إبداعيًا تتحرر فيه اللغة من قيودها التقليدية لتأخذ طابعًا إيحائيًا يتجاوز التعبير المباشر إلى فضاءات رمزية عميقة. في هذا السياق، تصبح الكلمات أدوات لنقل مشاعر وأفكار تتسم بالشمولية والإنسانية، حيث تتداخل الصور مع الدلالات لخلق تجربة نصية تتسم بالتعدد والانفتاح على التأويل. إن الإيحاء في لغة الشعر يعكس انفعالات الشاعر الداخلية، محولًا التجربة الشخصية إلى إحساس جمعي مشترك، وهو ما يمنح النص قوته وقدرته على تجاوز الحدود الزمانية والمكانية.

---

١) البنية الرمزية في شعر محمود درويش المعاصر : ٣٣.

٢) الصورة الشعرية عند الاعمى التطيلي، علي الغريب محمد شناوي، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٣م:٢٨١.

التوظيف المجازي في الشعر لا يقتصر على الإبداع اللغوي، بل يتجاوز ذلك ليصبح وسيلة لتمثيل مفاهيم أكثر شمولًا، كالصراع، الانتماء، أو الإحساس بالاغتراب. من خلال البناء المجازي والتراكيب الدلالية، ينقل الشعر مشاعر متأصلة في عمق الوجدان الإنساني، معززًا بذلك أبعادًا وجودية تتحدى الإدراك السطحي. اللغة الشعرية، بجمالياتها وإيحاءاتها، تعمل كمرآة تعكس أعمق مظاهر التفاعل بين الإنسان والعالم المحيط به. هذه الديناميكية اللغوية تُظهر قدرة الشعر على استيعاب القضايا الكبرى وتجسيدها في إطار يثير التأمل والوجدان. ففي كل نص شعري يحمل طابعًا إنسانيًا، نجد أن الصور المجازية تمتد لتلخص مسيرة الانفعالات البشرية المتناقضة من فرح وحزن، أمل وخيبة. وهكذا تصبح اللغة الشعرية فضاءً رمزيًا يكشف عن تعقيدات التجربة الإنسانية ويفتح الباب أمام فهم جديد لواقع يتشكل باستمرار عبر الكلمات.

تتميز صورة الأم في شعر محمود درويش بأبعاد إنسانية شديدة العمق، حيث تتجاوز المعاني الرمزية لتصل إلى جوهر العاطفة الإنسانية ومظاهرها المختلفة. تمثل الأم في هذا السياق ملاذًا للروح وركنًا للسلام النفسي، فهي ليست مجرد شخصية في حياة الشاعر بل مصدر إلهام يُستمد منه معاني الحب والحنين. في قصيدته "إلى أمي"، تتجلى الأبعاد الإنسانية بشكل خاص في التعبير عن الحنين والشوق، وهي مشاعر تعكس تجربة فردية تحمل في طياتها أبعادًا إنسانية عامة. إن تناول محمود درويش لصورة الأم لا يقتصر على وصف الحضور الفيزيائي لها، بل يذهب إلى التعبير عن تأثيرها العاطفي العميق. هذا التأثير يتجاوز الكلمات ليصبح تجسيدًا لحالة وجدانية تشمل الحنان، الحب غير المشروط، والارتباط الروحي الذي يبقى حيًا رغم المسافات. في هذا الفصل، سنتناول كيف عبر درويش عن هذه الأبعاد الإنسانية من خلال مشاعر الحنين والتأثير العاطفي، إضافة إلى تحليل الأساليب البلاغية التي وظفها لإبراز هذا البعد الإنساني.

أولا : الحنين والتأثير العاطفي

يشكل الحنين عنصرًا محوريًا في شعر محمود درويش، حيث يتحول من مجرد شعور شخصي إلى حالة إنسانية شاملة. الأم، في هذا السياق، ليست فقط موضوعًا للحنين بل هي المعادل الروحي للوطن والانتماء. يعبر درويش عن الحنين بأسلوب يمتزج فيه البساطة مع العمق، مما يجعل القارئ يتوحد مع تجربته الشعورية. يمثل الحنين في قصيدة "إلى أمي" قوة دافعة تُعيد تشكيل الزمن، حيث يصبح

الماضي حاضرًا من خلال الذكريات التي تفيض بالعاطفة. استخدام الرموز مثل "الوشاح" و"العشب" يعكس قدرة الشاعر على تحويل الصور البسيطة إلى مفاهيم ذات دلالات إنسانية واسعة. الأم، في هذه اللحظات، تُجسد الأمان والسلام اللذين يبحث عنهما الشاعر في خضم المنفى والغياب. هذا الحنين ليس مجرد شعور عابر، بل هو ارتباط نفسي وروحي يعكس شوق الإنسان لجذوره ولما يرمز إليه من استقرار وهوية. وبذلك، تصبح الأم مرآة تعكس من خلالها الإنسانية أعمق مشاعرها، وهي مشاعر الحب غير المشروط والحنان الذي لا ينضب. درويش يُظهر أن الحنين للأم يتجاوز كونه شعورًا فرديًا ليصبح تجربة إنسانية عامة تمس كل من يقرأ نصوصه.

قوله: "**خذيني، إذا عدتُ يوماً** [١]

وشاحاً لهدبك

وغطّي عظامي بعشب

تعمّد من طهر كعبك"

في هذه الأبيات، يتجلى الحنين في صور شعرية تعبر عن ارتباط روحي عميق بين الشاعر وأمه. عبارة "خذيني" تُظهر رغبة الشاعر في العودة إلى الأصل، حيث تصبح الأم ملاذًا روحيًا وجسديًا. تصويره لنفسه كـــ"وشاح لهدبك" يُبرز إحساسه بالتواضع والاعتراف بأهمية الأم ككيان أساسي في حياته.

تشير العبارة "غطّي عظامي بعشب" إلى العلاقة بين الحياة والموت، حيث يطلب الشاعر من أمه أن تغطيه بعشب نابع من طهارتها.

"فالشاعر يصف استعداده المطلق للتضحية من أجل أن يكون في أحضانها ،(الوطن)، فهو يريد منها أن تغطيه بعشب الأرض الذي ارتوى من عرقها ودمائها، ونحن نعلم أن المرأة الفلسطينية كانت تعمل يدا بيد مع زوجها في الأرض، لذا يقول في عبارة بعشب تعمد من طهر كعبك أي من ماء غسل قدميك، وهذا يدل على قداسة الأرض وعظمة الأم."[١] [١٤]

---

١) ١٣. ديوان محمود درويش : ٩٣.

١) البنية الرمزية في شعر محمود درويش المعاصر:٣٤.

هذه الصورة تجمع بين البُعد المادي والروحي، حيث تُعبر عن رغبة الشاعر في أن يكون جزءًا من هذه الطهارة حتى في موته. استخدام درويش لمفردات حسية مثل "العشب" و"طهر كعبك" يعكس قدرته على خلق صور تفيض بالعاطفة والحنين. الرموز المستخدمة ليست مجرد عناصر وصفية، بل تحمل دلالات عميقة تُبرز العلاقة الوثيقة بين الأم والشاعر. الأبيات تُظهر كيف يستطيع درويش توظيف اللغة لإبراز الحنين كحالة إنسانية شاملة، مما يجعل القارئ يتوحد مع هذه التجربة الوجدانية.

ثانيا : توظيف البلاغة والأسلوب

"إن مهمة الشاعر التقاط مجموعة من الصور المتداعية المفككة، فالشعر فن تصويري يتجه إلى العين، فيعمل الخيال على التقاط العلاقات الحسية"[١]

توظيف البلاغة والأسلوب في الشعر يمثل محوراً إبداعياً يستند إلى القدرة على التقاط الصور المفككة وتحويلها إلى تجربة حسية متكاملة. هذه العملية تعتمد على الخيال الشعري الذي يُفعّل العلاقات الحسية ويحوّل النص إلى مشاهد حية تتجاوز المدركات الحسية المباشرة. الشعر بصفته فناً تصويرياً يمزج بين الإيحاء والجماليات البلاغية، يقدم لغة تستدعي الحواس وتثير الخيال، مما يجعل الصور الأدبية فضاءات تعبيرية غنية. دراسة هذا التفاعل بين الأسلوب البلاغي والخيال تمثل مجالاً خصباً لتحليل النصوص الشعرية، حيث تكشف عن الكيفية التي تنشأ بها الرمزية من خلال استخدام العلاقات البلاغية والأنساق الجمالية. بهذا، يصبح الشعر وسيطاً فنياً يحمل في طياته دلالات عميقة تتخطى حدود اللغة الظاهرة لتصل إلى أبعاد إنسانية وفكرية أوسع.

وإذا ما نظرنا إلى شاعرنا نجد أن البلاغة والأسلوب الأدبي هما الأداتان الأساسيتان اللتان يعتمدهما محمود درويش في تجسيد صورة الأم وإبراز العلاقة العاطفية والإنسانية معها. في قصيدة "إلى أمي"، تظهر البلاغة من خلال الصور الشعرية الحسية والرمزية التي تعكس عمق العاطفة وتجذرها في النفس. يتمثل التوظيف البلاغي في استخدام التشبيه والاستعارة كوسيلتين لتحويل المشاعر إلى صور ملموسة، تسهل على القارئ فهمها والتفاعل معها. اللغة عند درويش ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي فضاء يُعبّر من خلاله عن الحالة النفسية والوجدانية. الألفاظ المنتقاة بعناية تعكس البعد الروحي

---

١) لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د. ط)، ٢٠٠٢م: ١٠٢.

للعلاقة، حيث تمتزج البساطة اللغوية بعمق المعنى. كما يعتمد الشاعر على الإيقاع الموسيقي للنص لتعزيز تأثير الصور البلاغية على القارئ. في هذه الأبيات تحديدًا، نرى البلاغة تُستخدم لتجسيد العلاقة بين الشاعر وأمه كعلاقة روحية تتجاوز الحدود المادية. الصور الشعرية تجعل القارئ يعيش التجربة العاطفية كما لو كانت جزءًا من حياته، وهو ما يعكس قدرة درويش الفريدة على نقل المشاعر الإنسانية عبر الشعر.

الأبيات:

"**وشدّي وثاقي** [١]

بخصلة شعرٍ

بخيطٍ يلوّح في ذيل ثوبك

عساني أصيرُ إلهاً

إلهاً أصير

إذا ما لمستُ قرارة قلبك"

في هذه الأبيات، يعبر محمود درويش عن العلاقة الروحية العميقة بينه وبين أمه من خلال صور بلاغية غنية. عبارة "وشدّي وثاقي" تعبر عن الرغبة في الارتباط الوثيق بالأم، حيث يصبح هذا الوثاق رمزًا للحب الذي يربطهما. استخدام "خصلة شعر" و"خيط يلوّح" يعكس الرمزية العميقة في تصوير العلاقة، حيث تُستدعى عناصر بسيطة لتحمل دلالات كبيرة. تعبير "عساني أصير إلهاً" يُظهر قوة تأثير الأم على الشاعر، حيث يصبح لمس قلبها وسيلة للارتقاء الروحي والمعنوي. هذه الصورة تجمع بين القداسة والإنسانية، مما يعكس رؤية درويش للعلاقة مع أمه كقوة محركة للحياة. الإيقاع الموسيقي للأبيات يُعزز من تأثيرها العاطفي، حيث تتكرر الكلمات والصور بطريقة تُبرز شدة الحنين والارتباط. كما أن استخدام الرموز الحسية يُظهر قدرة درويش على جعل التجربة الشعورية ملموسة وقريبة من القارئ. الأبيات تمثل نموذجًا لكيفية استخدام البلاغة والأسلوب لإبراز أبعاد العلاقة الإنسانية بين الشاعر وأمه، "كما جاء الوثاق بخصلة شعر وذيل ثوب الأم، ليكشف عن العودة إلى الأصل، الأم

١) ديوان محمود درويش :٩٣.

والالتصاق بها. تنبني الصورة من عناصر تمثل الاحتواء والاحتضان والتداخل بالأم. ويكتمل المشهد بصورة من أسطورة إعادة الحياة، حيث يستعيد الشاعر طقوس الموت والحياة، ويُلمح رمز أيزيس التي أعادت الحياة لزوجها أوزوريس. وتتمثل الصورة في بعدها الرمزي، وهو البعث والحياة، وكأن عند لملمة الأم من الشتات، تدب الحياة فيها من جديد. وهكذا نرى كيف استلهم الشاعر الموروث والواقع، وجاءت الصورة محكمة البناء، قدمت معادلاً شعرياً، عالج قضية الغربة والحرية. وتؤسّس الصورة التالية، بوصف الشاعر إلهاً، وهو حلم الشاعر، ليكسر أسوار السجن، حلم الفلسطيني، يتحدى الواقع، ليبعث أنموذجاً جمعياً – يحوّل الأم إلى أسطورة الخصب والحياة. هكذا استطاع الشاعر توليد العلاقات الدلالية، فالشاعر والأم، الوطن، هما ذات واحدة، ضمن رؤية شاملة. ويفيد التقديم والتأخير في "أصير إلهاً، إلهاً أصير" إلى الكيفية التي تمت بها هذه العودة" [١]

فهذا التوظيف المتقن للغة والإيقاع يعكس مهارة درويش في صياغة تجربة فريدة تحمل أبعاداً فكرية وعاطفية تجمع بين الرمز والواقع.

"إن طغيان الهم الجمعي على كتابات محمود درويش جعل شعره بهذه الإنسانية فاتحا فضاءات لغوية، ومساحات جمالية وصورا إبداعية"[٢]

إن تحول هذا الهم إلى مادة شعرية جعل من شعره مساحة لغوية غنية، تمزج بين الرمزية والواقعية، مما أتاح له التعبير عن الألم الجمعي بأسلوب متجاوز للزمان والمكان.

الصياغة الجمالية والصور الإبداعية التي تنبع من همومه الجماعية تضيف بعدًا فلسفيًا وروحانيًا لكتاباته، حيث تتحول المعاناة إلى تجربة مشتركة تتحدث لكل إنسان يحمل في داخله قضية أو ألمًا. بذلك، يمكن اعتبار شعر درويش نصًا مفتوحًا على التأويل، يعبّر عن الخاص والعام في آنٍ واحد، مما يفسر عالميته وخلوده الأدبي.

الخاتمة:

١) يوميات الحزن العادي، محمود درويش: ١١٣.

٢) سمفونية المفردات في شعر محمود درويش: 'بطاقة هوية' أنموذجًا"، د. مليكة النوي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٣٤، ٢٠١٦، جامعة باتنة ١، الجزائر،: ١١٤.

تمثل قصيدة "إلى أمي" لمحمود درويش نموذجًا فريدًا يتجاوز الحدود التقليدية للشعر، حيث يتداخل فيها الحنين الفردي مع القضايا الجمعية الكبرى، ليصبح النص صورة حية لرحلة الإنسان في البحث عن جذوره وهويته. الأم في هذه القصيدة ليست مجرد شخصية، بل هي رمزٌ ممتد يعكس جوهر الإنسانية وروح الانتماء. من خلال توظيف الرموز البسيطة التي تحمل في طياتها معانٍ عميقة كـــ"الخبز" و"القهوة" و"لمسة أمي"، نجح درويش في تحويل تجربته الشخصية إلى تجربة شمولية تمس القارئ في كل زمان ومكان. وقد أظهر البحث أن صورة الأم في شعر درويش تتسم بثنائية الحضور الرمزي والتجليات الإنسانية، حيث تتحول من كونها رمزًا للوطن والجذور إلى تمثيل للقيم الروحية والإنسانية العميقة. هذه الثنائية تعكس عبقرية الشاعر في خلق نصوص تجمع بين البساطة والعمق، وبين الحميمية الفردية والقضايا العامة. فالأم هي الحاضنة التي تستدعي مفردات الحنين والانتماء، وهي الروح التي تمنح الشاعر الشعور بالأمان والارتباط. وعلى الجانب البلاغي، نجد أن استخدام درويش للتشبيه والاستعارة ولغة الصور الحسية أضفى على القصيدة بُعدًا فنيًا عميقًا. الكلمات لم تكن مجرد وسيلة للتعبير، بل كانت جسورًا تصل بين العاطفة والوجدان، مما يجعل القارئ يعيش تجربة درويش بكل تفاصيلها وأبعادها. الرموز التي استخدمها الشاعر ليست عناصر وصفية فحسب، بل أدوات دلالية تُعبر عن العلاقة الجدلية بين الفرد ومحيطه، بين الخاص والعام، وبين الروحي والمادي.

تُبرز هذه الدراسة قدرة محمود درويش على إعادة صياغة المشاعر الإنسانية بأسلوب يتجاوز الأطر التقليدية للشعر، مما يجعل نصوصه مفعمة بالحياة والديمومة. الأم في "إلى أمي" ليست فقط شخصية إنسانية أو حاضنة وجدانية، بل هي مرآة لعالم أكبر، حيث تلتقي في رموزها معاني الوطن، الهوية، الحب، والمقاومة. وبهذا، تتحول القصيدة إلى نص مفتوح على تعدد التأويلات، يعكس قدرة الشاعر على المزج بين الإبداع الفني والبعد الإنساني.

ختامًا، تسلط هذه الدراسة الضوء على الأهمية الأدبية لقصيدة " إلى أمي" في فهم تجربة محمود درويش الشعرية. فالقصيدة تمثل نموذجًا حيًا للتكامل بين الجمال الفني والتجربة الإنسانية، مما يجعلها نصًا خالدًا يتجاوز حدود الزمان والمكان. كما أن استقراء هذه القصيدة يُبرز أهمية الأم كرمز إنساني جامع، يحكي عن الحنين والانتماء في أسمى تجلياتهما. من خلال تحليل النص، ندرك كيف استطاع محمود درويش أن يمنح الأم حضورًا شعريًا خالدًا يعكس عبقرية إبداعه ورؤيته الإنسانية الشاملة.

قائمة المصادر

١. التأويل وخطاب الرمز: قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، محمد كعوان، دار بهاء الدين، الجزائر، ط١.
٢. ديوان محمود درويش، محمود درويش، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ط١٤، ١٩٩٤م.
٣. الشعر العربي الحديث٣: الشعر المعاصر، محمد بنيس، دار توبقال للنشر، ط٢، المغرب، ١٩٩٦م.
٤. الصورة الشعرية عند الاعمى التطيلي، علي الغريب محمد شناوي، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٣م.
٥. لسان العرب، ابن منظور، مج٥، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٦. لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د. ط)، ٢٠٠٢م.
٧. نماذج في النقد الأدبي وتحليل النصوص، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط٣، ١٩٩٦م.
٨. يوميات الحزن العادي، محمود درويش، بيروت، مركز الأبحاث – منظمة التحرير الفلسطينية، دار العودة، ط٢، ١٩٨١م.

الرسائل والأطاريح

١. البنية الرمزية في شعر محمود درويش المعاصر: رمزية المرأة في قصيدتي "إلى أمي" و "أحبك ولا أحبك" أنموذجًا، مريم عميش ونوارة نجيمي، رسالة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة–، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٤م.

البحوث المنشورة

١. سمفونية المفردات في شعر محمود درويش: 'بطاقة هوية' أنموذجًا، د. مليكة النوي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد ٣٤، جامعة باتنة ١، الجزائر، ٢٠١٦م.
٢. "ظاهرة العناوين لقصائد محمود درويش وخصائصها الفنية"، محمد مزمل حق، المجلة الدولية للأفكار البحثية الإبداعية (IJCRT)، المجلد ٩، العدد ١١، نوفمبر ٢٠٢١،رقم البحث: IJCRT٢١١١٢٧٠. رابط المجلة: www.ijcrt.org

٣. قصيدة إلى أمي للشاعر محمود درويش دراسة فنية نقدية، د. خديجة بوطيب عبد القادر بوطيب، ليبيا، جامعة الزنتان، المجلة العربية مداد، المجلد الرابع، العدد ٩، ٢٠٢٠م.